عصا موسى بين الموروث القديم والقرآن الكريم (دراسة معاصرة)

الدكتور عماد عباس خلف الفهداوي

كلية الشرق الأوسط الجامعة

emad.abass@meuc.edu.iq

Moses' staff between ancient tradition and the Holy Quran (A contemporary study)

Dr.Emad Abbas Khalf ALfahdawi
Middle East University College

الملخص

لهذا البحث أهمية كبيرة جداً تتعلق بإحدى المبهمات في القرآن الكريم، لكن يبقى للباحث في القرآن الكريم، يجد ما بين السطور ما يريد مبتغاه، لكن يبقى السؤال يطرح نفسه، هل يتم التوصل إليه. عصا موسى عليه السلام لما لها من قوة وسلطان توقف القرآن عن ذكرها فجأة، بعد أن كانت مليئة بالمواقف والمعجزات، وهنا جاء الموروث القديم ليقدم لنا ادلة عاجزة عن غيابها، لكنه اكتفى كعادة بسرد الروايات التي لا تمد لها الحقيقة بصلةٍ. اخذت من بعض روايات المعاصرين واسقطتها على آيات القرآن بعد التمحيص وجدها أقرب الى الحقيقة، لذا أحببت أن اغوص في بحثي حول هذا الموضوع، مبيناً ما جاء به الموروث القديم، والدراسة المعاصرة، وهذا دليلٌ على أن القرآن ما زال ينبض بالحياة من أفكار وعلوم الى قيام الساعة.

الكلمات المفتاحية: عصا موسى، القرآن الكريم، الموروث القديم.

Abstract

This research is of great importance, as it addresses one of the ambiguous issues in the Holy Qur'an. The researcher of the Qur'an seeks to discover what lies between the lines and reach the intended meaning. However, an important question remains: can this meaning actually be reached

The staff of Moses (peace be upon him), given its power and authority, is a significant subject in this regard. The Qur'an suddenly ceases to mention it after it had been associated with numerous events and miracles. Here, the ancient heritage attempts to provide explanations for its disappearance; however, it is limited to narrating accounts that have no connection to historical truth.

In this research, I have examined some accounts found in contemporary sources and compared them with the verses of the Qur'an. After careful examination, I found them to be closer to the truth. I also discuss the contemporary scholarly study of this subject, presenting both what has been transmitted through ancient heritage and what contemporary research has contributed.

This demonstrates that the Qur'an continues to remain alive and rich with ideas and knowledge until the end of time.

Keywords: Moses' staff, the Holy Quran, ancient heritage.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

في هذا البحث تناولت فيه موضوع عصا موسى – عليه السلام– ما بين الموروث القديم والقرآن الكريم دراسة معاصرة، النصوص القرآنية غير العبادات والعقائد نصوص تتغير حسب الأزمة والقوانين، فيصبح النص قابل للتغير حسب مفهوم الشارح للنص لما تحدث من متغيرات، في الأزمنة والأماكن والعادات والتقاليد، وهذا من إعجاز القرآن.من هنا شرعتُ بالكلام حول كيفية اختفاء عصا موسى بعد أن كان لها دورٌ كبير في الأحداث مع فرعون وقومه، ولم يذكر القرآن الكريم كيف تم اختفاءها، ولم أجد في كتب السيرة على اختفاءها، سوى روايات ليس لها أصلٌ أو سند، لكن النص في القرآن تجد ما يبينه في نص آخر ما بين السطور.

الهدف من الدراسة: هو البحث عن الآيات التي غالباً ما تكون مبهمة ويكون حولها الاختلاف وتكو موجودة ضمن السياقات الأخرى لكن بحاجة الى التفكر وجمع الآيات وإعادة ترتيبها، حتى يتسنى فهمها حسب السياق القرآني.

إشكالية المنهج: أما منهج البحث الذي اتبعته هنا فهو منهج استدلال، أعرض الموضوع وأحاول بيان الخلاف فيه مع الأدلة أحياناً، واتبعت خلاصة آراء الفقهاء من مرادهم لفهم النص القرآني، وعزوت الآيات لسورها، وتناولت البحث بصورة شاملة فلم أدخل أحياناً في بعض التفاصيل لكثرة اتساعها.

أهداف الموضوع:

١–وجد أن عصا موسى ﷺ لها من المعجزات والسلطان، وفيها الكثير من التحولات والإعجاز، لكن اين اختفت.

٢-اودع الله تعالى السر في العصا ولم يدعه في موسى، لذا عند اختفاء العصا لم نجد لموسى أي معجزة بعد ذكرت.

٣-هل المعجزة في العصا أم في موسى عليه السلام.

٤-عدم معرفة عصا موسى عليه السلام من اين جاءت وكيف اختفت.

خطة البحث: يتكون البحث من مبحثين

المبحث الأول: عصى موسى عليه السلام في الكتب المقدسة.

المطلب الأول: بيان ذكر عصى موسى في التوراة من أين جاءت.

المطلب الثاني: أحوال اختفاء عصى موسى عليه السلام في الكتب المقدسة.

المبحث الثاني: عصى موسى عليه السلام في القرآن وبيان احوالها.

المطلب الأول: أحوال تقلب عصى موسى عليه السلام.

المطلب الثاني: اختفاء عصى موسى عليه السلام في القرآن.

المبحث الأول: عصى موسى عليه السلام في الكتب المقدسة.

المطلب الأول: بيان ذكر عصى موسى عليه السلام في التوراة.

ذُكرت العصا لأول مرة في سفر الخروج(٤: ٢)، عندما ظهر الله لموسى في العليقة المشتعلة، سأل الله موسى عمّا في يده، فأجابه موسى: "عصا" تحولت العصا بأعجوبة إلى ثعبان، ثم عادت إلى عصا، ويُشار إلى العصا بعد ذلك باسم "عصا الله" ، تارة بـ «عصا موسى» أو «عصا هارون».ظهر موسى وهارون أمام فرعون، فتحولت عصا هارون إلى ثعبان، كما استطاع سحرة فرعون تحويل عصيهم إلى ثعابين، لكن عصا هارون ابتلعت عصيهم خروج (٧ : ١٠-١٢). واستُخدمت عصا هارون مرة أخرى لتحويل النيل إلى اللون الأحمر الدموي، واستُخدمت عدة مرات بأمر الله لبدء أوبئة مصر. عَصَا هَارُونِ هي العصا التي حملها هارون شقيق موسى، حسب التوراة فإن العصا الخاصة بهارون كانت لها معجزات مثل عصا موسى، وهناك مناسبتان يتحدث فيهما الكتاب المقدس عن قوة العصا.

١- ورد في سفر العدد (١٧: ٢٣) أن عصا هارون قد أزهرت, وقد أثبتت أن سبط لاوي هو الكهنوت. في سفر الخروج(٧: ١٠-١٢)ألقى هارون عصاه، فتحولت إلى ثعبان. وكرر ساحر فرعون الأمر نفسه، ولكن عصا هارون ابتلعت جميع الثعابين. ورد في سفر (خر ٤: ١٧) كان أمر الرب هو أن يكون هارون لسانًا لموسى وليس يدًا، وأن صُنع الآيات كان من مهام موسى وليس هارون، وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات " فهي بصيغة المفرد للمعجزات، وليس في ذلك ما يقلل من قدر هارون وإنما هو من تحريفات كتبة التوراة"[١].

٢- جاء في سفر (الخروج) العصا عصا واحدة، وهي التي أستخدمها موسى في رعاية الأغنام " فقال له الرب ما هذه في يدك، فقال عصا، فقال أطرحها إلى الأرض،

فطرحها إلى الأرض، فصارت حيَّة.." (خر ٤: ٢ – ٤).. " فمد موسى عصاه نحو السماء" (خر ٩: ٢٣) وعندما كان يستخدمها هرون كانت تُسمى " عصا هرون" (خر ٧: ٩، ١٩) وفي موضع آخر دُعيت بعصا الله، ففي حرب عماليق قال موسى ليشوع " وغدًا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي" (خر ١٧: ٩) وهي ذات العصا التي أستخدمها موسى بعد ذلك عندما ضرب الصخرة في حوريب " فقال الرب لموسى... وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك وأذهب، ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة" (خر ١٧: ٥–٦).

٣– يقول أحد الآباء الرهبان بدير مار مينا العامر " هذه العصا دُعيت (عصا موسى) وأيضًا (عصا هرون) فقد كان موسى يعطيها لهارون ليصنع بها الآيات، فكلاهما كانا يعملان ويواجهان فرعون معًا"[٢].

٤– جاء في دائرة المعارف " لقد سُميت " عصا الله " لأنها كانت ترمز إلى سلطان الله، وسُميت " عصا موسى " لأنها كانت عصاه فعلًا في البداية، وسُميت " عصا هرون " لأن هارون كان يستخدمها عوضًا عن موسى"[٣]. تبين لنا من خلال نصوص الأسفار والتوراة (العهد القديم)، أن عصا موسى كانت فيها من المعجزات، مما جعلها رمزاً للقوة الإلهية والعون الرباني لبني إسرائيل في رحلة الخروج، ولكن شابها الكثير من الأساطير والتحريف، واختلاف نصوص الأسفار، مما تبين ضعف الروايات الإسرائيلية.

ومن هنا نلخص دور عصا موسى كما ورد في الأسفار.

*تحويل العصا إلى ثعبان أمام فرعون لإثبات قوة الله (سفر الخروج).

*ضرب موسى للحجر بعصاه فانفجر منه الماء ليروي بني إسرائيل(سفرالخروج).

*ضرب موسى للبحر بعصاه فانفلق ليعبر بنو إسرائيل، ثم عاد ليغرق جيش فرعون (سفر الخروج).

*استخدام العصا في رعي الغنم التي كان يحملها.

*لم تكن عصا موسى مجرد أداة، بل مظهر لقوة الله وقدرته على تغيير الموازين. مما يجعلها جزءاً من المعتقدات اليهودية والمسيحية والإسلامية.

المطلب الثاني: من اين جاءت عصى موسى عليه السلام.

ورد في بعض كتب التفسير عدّة أقوال بخصوص مصدر عصا موسى عليه السلام؛ إلّا أنّ هذه الأقوال جميعها لم يثبت منها شيئاً على وجه القطع، ومن جملة ما قيل إنّ عصا موسى عليه السلام مصدرها من الملائكة؛ إذ رُوي أنّ الملائكة أعطوا موسى عليه السلام هذه العصا عندما دخل أرض مدين؛ فكانت على حدّ قولهم تُضيء بالليل، وتُخرج له النبات من الأرض، إضافةً إلى استخدامها في رعي الأغنام(٤). وقيل إنّما كان مصدرها من أرض مدين؛ لمّا استأجره صالح مدين لرعاية الأغنام ثمان سنوات، مقابل زواجه من إحدى بناته(٥)، وقيل كانت هذه العصا من شجر الجنّة(٦)، وقيل غير ذلك الكثير.

وهذه أقوال لم يثبت شيء منها في الأدلة الثابتة والصريحة؛ فالله –تعالى– لم يُبيّن طبيعة هذه العصا؛ ومن أيّ شجرة تكون، ومن أيّ مكان أخذها موسى عليه السلام، كما لم يرد في نصوص السنة النبويّة ما يدلّ على ذلك؛ إنّما جاء ذكرها في سياق الحديث عن مآرب موسى عليه السلام في هذه العصا، وفي سياق الحديث عن جعلها معجزةً وآيةً تدل على صدق نبوته عليه السلام أمام فرعون وملأه، حتى إنّ بعض المفسرين وصفوا هذه العصا بأنّها مجرد خشبة وما يذكرونه في عصا موسى أن شعيبًا أعطاه إيَّاها، وقيل: جبريل، وكل ذلك لا يثبت(٧).

أرى من خلال هذه الأقوال، لا يوجد دليل أو نص صريح يبين لنا من أين جاءت عصا موسى، لذلك نتماشى مع النص القرآني، ونعتبر هذا من المبهمات التي لا فيها دليل نصي أو حديث صحيح، بالمقابل لم نجد ما يعزز من اين هي في مصادرهم، لكثرة الاختلاف فيها، لذلك أجد أن عصا موسى لم تكن شيء، بل هي خشبة خالية من أي شيء، لكن عند لقاء موسى مع الله –تعالى– في الوادي المقدس، جعل القدسية في موسى وعصاه، اما موسى صار رسول الى بني إسرائيل، وأما العصا أصابها سلطان الله الساطع القوي فجعل فيها الحياة تدب، فتحولت من خشبةٍ جامدة، الى عصا فيها الحياة والقوة بإذن الله.

–اختفاء عصا موسى بالموروث اليهودي.

عصا موسى اختفت ولا يوجد مكان محدد متفق عليه, لكن هناك روايات تقول أنها انتقلت عبر الأجيال حتى دُمر الهيكل الأول. التراث اليهودي (المدراش): تشير إلى أن العصا توارثتها الأجيال ووصلت إلى ملوك يهوذا، ثم اختفت بعد تدمير الهيكل الأول ونفي اليهود، وفي رواية أخرى قد تكون في تابوت موسى الذي لا يُعرف مكانه[٨].

أرى، لا يوجد مكان محدد ومؤكد لعصا موسى، وتعتبر مجرد تكهنات واجتهادات، فلا يوجد نص واضح أو دليل قاطع على مكانها إنما توجد بعض الروايات الضعيفة، ليس لها علاقة بعصا موسى عليه السلام. أن كل هذه الروايات اجتهادات وليست حقيقية. لا يذكر الكتاب المقدس في العهد القديم، أين ذهبت العصا بعد موت موسى، لكن التقاليد اليهودية تذكر انها تنتقل من جيل لآخر حتى وصلت لملوك يهوذا، ثم ضاعت بعد تدمير الهيكل الأول. وبهذا وجدنا ضالتنا من اختفاء العصا في القرآن الكريم، حتى نبطل جميع المزاعم اليهودية، ونسقط جميع الروايات الضعيفة والمدسوسة من

الموروث القديم، وتبين لنا من خلال نصوص القرآن الكريم أن عصا موسى كانت مع السامري، هذا ما نبينه من خلال نصوص القرآن الكريم، أما عدا ذلك مجرد تكهنات وروايات.

المبحث الثاني: عصى موسى عليه السلام في القرآن وبيان احوالها:

المطلب الأول: أحوال تقلب عصى موسى عليه السلام.

ذكر القرآن عدة مشاهد لعصا موسى عليه السلام وبين فيها كيف تتقلب في حركاتها كأنها جان، وتارة حية تسعى ومرة ثعبان مبين، وكلٌ حسب الموقف، وبيان سياق كل آية بما يناسبها من سياق، وفيه ستة مشاهد.

المشهد الأول:

*قوله تعالى:﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾ (القصص :٣١)

بعد أن سار موسى عليه السلام بأهله من مدين إلى مصر لرؤية أهله، فأخطأ الطريق في ليلة شاتية باردة مظلمة، أبصر نارًا، فقال لأهله: ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ (القصص: ٢٩)، فإن لم أجد خبرًا، فسآتيكم بـ ﴿ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (القصص: ٢٩)، فحين وصلها رآها نورًا ممتدًّا من السماء إلى شجرة عظيمة، فتحيَّر موسى وخاف حين رأى نارًا عظيمة بغير دخان، فتراجع فنُودي منها، فلما سمع الصوت استأنس فعاد ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠)، ثم أمر بخلع حذائه ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢)؛ لذا بنو إسرائيل يخلعون أحذيتهم في الصلاة. هنا كلم الله موسى عما يحمله بيده من عصا،

قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل: ١٠). هنا كلم الله موسى ودار بينهم الحوار فقال له إني أنا الله يعني قدم له نفسه بالاسم الله، قال له الله القي عصاك القاها وهي بدأت تهتز بشدة كأنها جان لبيان شدة تحركها، ولى موسى من الخوف ولم يعقب أي لم ينظر الى الخلف من شدة الخوف، انتابه الخوف وهذه فطرة موجودة بأي انسان فناده الله يا موسى اقبل ولا تخف، من هذه العصا يعني لم تتحول الى أي شيء ما زالت عصا، لكنه من شدة خوفه تصور انها تحولت الى جن بسبب حركتها الشديدة، فناده الله يا موسى اقبل ولا تخف انك من الأمنين، حين اقبل موسى الى تلك النار، كلمه الله تعالى وهو شاهد العصا وهي تهتز كأنها جان، هل هو شاهد جان طبعا لا، بل شاهد العصا تهتز كأنها جان- كأنها هنا للتشبيه-، والتشبيه ابدا لا يقتضي التحويل، وعندما نقول انها تشبيه يعني لم تتحول الى شيء، هي فقط اهتزت مثل الجان، لكنها لم تصبح جان. أنظر الى الصيغة اللغوية، لما تحولت فعلا الى حية؟ فاذا هي حية تسعى، فاذا هي ثعبان مبين، سمها باسمها وشكلها فتغير الاسم والشكل ، ولما قال هي كأنها جان، هذا تشبيه مدام تشبيه يعني لم تتحول الى شيء، هنا ناده الله يا موسى اقبل ولا تخف انك من الأمنين، وهذا المشهد الأول.

المشهد الثاني:

*قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (طه :٢٠).

هنا الله تعالى يكلم موسى، وما تلك بيمينك يا موسى قال عصاي، وعصاي معناها إنها ملكه وأضافها له، وعلل وقال اتوكأ عليها وأهشُ بها على غنمي ولي فيها

مأرب أخرى. ماذا حصل فإذا هي حية تسعى؟ تحولت فعلاً حية تسعى، لأن عند لقاء فرعون ستتحول الى ثعبان مبين. وكانت هذه المعجزة آيةً من جنس ما اشتهر به بنو إسرائيل؛ الذين اشتهروا بالسحر والشعوذة؛ إلا أنّها كانت حقيقة لا سحراً، إذ انتقلت هذه العصا بقدرة الله – تعالى– من كونها فرعاً من شجرة، إلى مرحلة أعلى وأكبر(١٠)، في سيناء تمت تمرينين من التدريب، وبعد أن أصبح موسى جاهزاً، وتم تهيئته للعودة الى مصر قال له الله – تعالى– اذهب الى فرعون أنه طغى.

المشهد الثالث:

دخل موسى مصر وجاء الى فرعون بعد أن عرض نفسه على أنه رسول من الله ومؤيدٌ بمعجزات ، فقال لفرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ﴿الشعراء : ٣٢﴾. ورد في القرآن الكريم ذكر عصا موسى بأوصاف مختلفة مرة جان ومرة حية ومرة ثعبان فما الفرق بينها؟.

كلمة ثعبان لم تستعمل إلا أمام فرعون (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) وذلك لإخافته. كلمة الجان ذكرها في موطن خوف موسى في القصص وفي النمل، وعند ذكر الحية لم يخف منها موسى لم يقل أن موسى هرب أو فزع، لأن الحية باستطاعة أي إنسان أن يقتلها ،لذلك في القرآن كل كلمة جعلها تعالى في مكانها.

بينت سورة الأعراف أن لقاء موسى بفرعون كان بصحبة أخيه هارون وأمام الملأ، اذ لم يلتقِ موسى بفرعون مرتين عندما تحولت العصا إلى ثعبان؛ فالنص القرآني يشير إلى أن الموقف الذي تحولت فيه العصا إلى "ثعبان مبين" حدث مرة واحدة أمام فرعون وملئه. تكرار كلمة "ثعبان" في موضعين في القرآن فقط ،وهما سورة الأعراف

وسورة الشعراء، بأنها كانت أمام فرعون خصيصًا لتخويفه بكون الثعبان أكبر وأشد هولًا من الحية[١١].

يبقى السؤال: عندما القى موسى عصاه أمام فرعون وانقلبت الى ثعبان مبين، هل اخافت فرعون؟ الجواب، لا؛ لأن القرآن لم يذكر أن فرعون خاف من هذا الموقف، لأن فرعون ظن هذا من عمل السحر لذلك قال : ﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ لأن السحرة كانوا يمارسون هذا العمل أمام فرعون، وتعود فرعون على إن هذا العمل مجرد عمل سحرة وهو تمويه، لذلك ظن فرعون إن الذي عمله موسى هو يشبه عمل السحرة مجرد تخييل وتمويه لذلك لم يخف فرعون. ثم من بعد ذلك تدور المواجهة من قصر فرعون، الى لقاء السحرة وهو يوم الزينة، وهو اللقاء المرتقب بعد أن يأتي بالسحرة من كل مكان ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٠].

المشهد الرابع:

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) (الأعراف :١١٧) واعد فرعون موسى وهارون يوم الزينة (يوم المواجهة الكبرى): بعد اللقاء الأول، جمع فرعون كل السحرة المهرة لمواجهة موسى علناً، (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠:طه) ألقى السحرة حبالهم وعصيهم فخيّل للناس أنها حيات تسعى بسحرهم، وبأمر من الله، ألقى موسى عصاه فأبطلت عمل السحرة دون أن تتحول الحبال والعصي الى حيّاة.

عندما القى موسى عصاه لم تتحول إلى حية أو إلى ثعبان، فالقرآن الكريم لا يذكر هنا أنها تحولت إلى حية أو إلى ثعبان ولكن جلّ ما حصل أنها أخذت تلقف ما يلقون.

إذن: نريد أن نوضح إن كلمة تلقف تأخذ معنى آخر غير الابتلاع، وهو تبطيل وتعطيل ما جاء به السحرة، فحينما ألقوا السحرة حبالهم وعصيهم لم تنقلب إلى حيات، أي أبطل عمل السحرة ،وكلمة تلقف دائما ترافقها كلمة ما يأفيكون، وهو الكذب والخداع.

نستنتج من هذه الآيات إن عصا موسى أبطلت عمل السحرة، ولو موسى ألقى عصاه وانقلبت إلى حية كبيرة وابتلعت الحيات، لقال الناس أن موسى جاء بسحر عظيم لم يأتي به السحرة، وهنا سيكون موسى ساحراً وليس نبياً، إذن عصا موسى قطعت الأثير والاتصال بين السحرة وبين حبالهم وعصيهم وأبطلت هذا العمل، وثبت عند السحرة إن موسى هو نبي، وإن ما جاء به السحرة هو من خداع وكذب ومكر.

من هنا انتهت قصة موسى مع فرعون والسحرة بعد إيمان السحرة بموسى، قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) (الشعراء :٤٨) تبين من الآيات أن اللقاء كان واحد بين موسى وفرعون والسحرة، وبحضور فرعون وملئه.

المشهد الخامس:

بعد أن ابطل الله تعالى عمل السحرة، من خلال عصا موسى، وانتهى عمل السحرة وآمنوا بما جاء به موسى، توعد فرعون السحرة بالقتل، هنا ينطلق موسى ببني إسرائيل للذهاب الى الأرض المقدسة، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) لكن ماذا سيواجه موسى من مصاعب ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ(٥٣) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ) (الشعراء:٥٥). خرج موسى ببني إسرائيل حتى تبعهم فرعون، وتم اللقاء بهم عند البحر.(فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) (الشعراء:٦١). نستنتج من تلك الآيات والأحداث.

* قوله تعالى: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ) (الشعراء : ٦٣) هنا موسى يمتلك تلك العصا التي اودع الله فيها سر من اسراره ،انفلق البحر بأمر الله تعالى، والعصا كانت سبباً ومفتاحاً للآية بأمر إلهي، فالعصا بحد ذاتها لا تملك القدرة على شق البحار، بل القوة الحقيقية هي قدرة الله التي اقترنت بضرب موسى بعصاه، فالأمر جاء ليجعل الآية متعلقة بفعل موسى وتحقيقاً لوعد الله له، فكانت الآية دليلاً على قدرة الله، وليست قوة ذاتية للعصا(١٢).

نرى: أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه، وهذا الفعل كان جزءاً من خطة إلهية لنجاة بني إسرائيل من فرعون وجنوده.

المشهد السادس:

بعد أن نجا الله – تعالى – موسى ومن معه، اصبحوا في صحراء لا ماء فيها ولا طعام، هنا استسقى القوم موسى وطلبوا السقيا، هنا جاء الأمر الإلهي لموسى بأن يضرب الحجر بعصاه، إذن ما زلنا مع عصا موسى وماذا ستفعل.

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا) (البقرة: ٦٠)

٢- قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا) (الأعراف ١٦٠)

*انفجرت : تعني أن الماء خرج بكثرة وغزارة شديدة، ويمكن تفسيرها بخروج الماء بكثرة ليغطي حاجة الجميع ، لذلك ناسب السياق كلمة انفجرت، وجاءت في سياق المدح والثناء على بني إسرائيل، حيث كان الماء يكفي الجميع.

*انبجست: تعني خروج الماء بكمية أقل من الانفجار، أشبه ما يكون بالتسرب أو الانبثاق، وهذا ما جاء في سورة الأعراف عند الحديث عن سبب الجفاء الذي أصاب بني إسرائيل ، لذلك ناسب السياق كلمة انبجست ، وجاءت في سياق الذم في سورة الأعراف، حيث انحسرت المياه بسبب عصيان بني إسرائيل (١٣) ولو دققنا النظر في هذه السياقات القرآنية لربما خلصنا إلى الاعتقاد بأن العصا كانت تدب الحياة في كل ما تصل إليه، فإن ضرب موسى الحجر بعصاه تدفقت الحياة من الحجر، لقد أصبحت تلك العصا حية (أي أصبح فيها حياة) وانتقلت الحياة إلى كل كينونة حلت فيها تلك العصا[١٤].

نرى : من خلال الآيات أن العصا لها دورٌ كبير في حياة بني إسرائيل، وهم ينظرون الى موسى وكيف يضرب البحر فينفلق، ويضرب الحجر فينفجر منه الماء،

يبقى السؤال، لماذا لم يتحذ بني إسرائيل من العصا موقفاً يعظمونه اتجاه العصا، بينما العجل لم يصنع لم شيء عبدوه وجعلوه إلاهٍ؟ لأنهم تأثروا بالعجل أكثر من العصا، ولهم تاريخ مع ذبح البقرة حين تم إحياء الميت، لذلك تقديسهم للعجل أكثر. ثم ننتقل الى المطلب الأخير في حياة بني إسرائيل وبركة وجود العصا بينهم ، يبقى السؤال : كيف اختف العصا ؟ وماذا فعل موسى؟.

المطلب الثاني: اختفاء عصى موسى في القرآن:

موسى يلقي عصاه أمام فرعون وملئه فتنقلب ثعبان مبين، ثم يختضم الحوار بين السحرة وموسى، ثم تكون النتيجة موسى يلقي عصاه، فتعطل عمل السحرة وينقطع الأثير، بين ما جاءوا به من كذب وخداع، ثم يغادر موسى ذلك المشهد ببني إسرائيل باتجاه البحر، فيتبعه فرعون بجنوده، وموسى وقومه أمام البحر، فيضرب موسى البحر فينفلق، ثم يضرب الحجر فينفجر منه الماء، كل هذه المشاهد لم تغيب عن عين السامري، فعلم أن عصا موسى هي تمتلك القوة والسلطان الذي يمتلكه موسى، لذلك حينما سنحت له الفرصة عند ذهاب موسى لميقات ربه، لم تكن العصا معه، هنا شاهد السامري عصا موسى وسولت له نفسه اخذ العصا عن خفية من أهله وعمل ما عمل، وعلى أثرها اختفت عصا موسى، وسأتكلم عن هذا المشهد الأخير حول اختفاء عصا موسى.

١-قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى) (طه: ٩٦).

لم يرد أي نصٌ صريح حول اختفاء عصا موسى عليه السلام، عدا الروايات التي جاءت في الموروث القديم، لكن المتطلع الى النص يوحي له كيف اختفت عصا موسى،

وحين ذكر السامري بقوله: (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾﴿ طه :٩٦ ﴾. وضح الآية أن الرسول هو موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزخرف ٤٦] من هنا تبين أن السامري هو من أخذ العصا بدليل " فَقَبَضْتُ قَبْضَةً"، ممن من الرسول من هو الرسول موسى، ويكأنه يقول لقد استخدمت عصا الرسول مرة واحدة.

***كيف استخدم السامر عصا الرسول موسى:**

إن عصا موسى قد وقعت في يد السامري: (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ ﴿ طه :٩٦ ﴾. يوم أن نسيها موسى بين أوزار القوم مستعجلاً لقاء ربه:(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ)﴿ طه:٨٤).

قد بصرها السامري ولم يبصرها أحد غيره: (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ.) ﴿طه ٩٦ ﴾ فيستغل السامري الموقف باستخدام عصا موسى ليظل قوم موسى من بعده: (قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾﴿ طه٨٥) فيصنع لهم عجلاً جسدا له خوار أي عجلاً يحدث صوتا :(فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ) ﴿طه ٨٨﴾ فيتخذه القوم إلهاً: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) ﴿الأعراف ١٤٨ ﴾.

وهنا لا بد أن نسأل: كيف صنع لهم ذلك العجل من الحلي؟ وكيف كان لذاك العجل خوار؟ نظن أن السامري كان على بينة مما صنع. هل صنع العجل بطريقة هندسية فيزيائية جعل فيه ثقوب بحيث اذا مر الهواء يحدث أصوات احتمال، لكن يبقى السؤال ما معنى (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) هذا الذي جعلني أميل الى هذا الرأي وهو.

عندما القى السامري العصا في تلك الحلي بعد أن صنع منها عجلاً، أحدثت العصا صوتاً من داخل العجل منافياً لما فعله السامري السامع له يظن أنه صوت البقرة، لأنها كانت تستخدم بالحق وابطال الباطل عالماً إن العصا ما وضعت على شيء إلا جعلت فيه أثر الحق ، وبعد سماع الصوت انكبوا عليه عاكفين حتى رجع موسى ليكشف بطلان حيلة السامري.

وبهذا تبين أن العصا انتهت مهمتها مع موسى، وتم احراقها مع العجل بعد أن فقدت خاصيتها من القوة والسلطان، حتى أصبحت خشبة لذلك احترقت بعد أن ظل القوم، ومن بعدها لم نجد لموسى أي معجزةً له وبهذا انتهت حياة موسى والعصا، وكل الروايات حول العصا فاقدة الإرادة من حيث الصحة والسند مجرد تكهنات. وهذا مجرد رأي كباحث... وهذا قولنا يحتمل الخطأ والصواب لأن الباحث يبدي رأيه بما يفتح الله له، ويبقى مراد الله مجهول لا أحد يعلم به.

اهم النتائج والتوصيات:

١- لقد بينت آراء العلماء من أهل التفسير ومن المفكرين حول عصا موسى، واوصي من أراد ان يبحث في القرآن عن قصة فيها من المبهمات أن يجمع الآيات كلها حول القصة ويعيد ترتيها سيجد ما يريده.

٢- إرادة الله تعالى فوق كل شيء يجعل من الخشبة اليابسة خشبة تدب فيها الحياة، وهذا من صنع الله .

٣- أن الله تعالى يؤيد انبياءه بشيء يعجز الإنسان فهمه ، وهذا من قدرة الله تعالى .

٤- التفكر والتبصر بآيات الله كيف يجعل من الخشبة فيها الحياة والسلطان بأمره، حتى يبقى الإنسان على صلة بالله ويتفكر في صنعه.

٥-علمتنا عصا موسى وهي خشبة كيف انهت ملك اعظم جبار في الأرض حينما قال أنا ربكم الأعلى.

٦- من نتائج البحث أن عصا موسى انهت حقبة من الظلم واستبدالها بخير منها ودليله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض.

٧- نوع المعجزات للأنبياء دليله قدرة الله على كل شيء. بعصا انها ملك طاغية.

٨- عصا موسى من المبهمات في القرآن، وعلى كل باحث بالإمكان أن يبحث بهكذا مواضيع في القرآن ويتأمل عظمة القرآن وأسلوب بيانه ومعجزات وهذا دليل على أن القرآن من عند الله.

الهوامش:

١- التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل : محمد قاسم محمد ص ١٣٣..

٢- من إجابات أسئلة سفر الخروج. الكاتب موسى ص٣٤.

٣- دائرة المعارف الكتابية : صموئيل حبيب فايزج٥ ص٢٨٦ .

٤- تفسير القرآن العظيم : لابن أبي حاتم : الرازي ج٧ ص٢٤١٩

٥- الدر المنثور : جلال الدين السيوطي ج٤ص٢١٣

٦- تفسير السمعاني:منصور بن محمد السمعاني ج٤ص٥٣

٧- تفسير الطبري : جامع البيان : (ج٤ص١٦٦).

٨- التراث الشفوي اليهودي المعروف بالمدراش، يلقوت شمعوني: ص٤٥ ٠

٩)- الفتح الرباني والفيض الرحماني:الشيخ: عبد القادرالجيلاني ص٣٤ ٠

١٠- لمسات بيانية: فاضل السامرائي ج٣ص٥٦

١١- أنوار التنزيل وأسرارالتأويل:البيضاوي ج٥ص٦٧ .

١٢- الطبري : جامع البيان : محمد ابن جرير ص٣٧٠ .

١٣- لمسات بيانية: فاضل السامرائي ص٤٣)

١٤- د. رشيد الجراح: باب السامري : أين ذهبت عصا موسى؟: ص٧٤.

المصادر والمراجع:

١- التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل : محمد قاسم محمد، الناشر/ م. ق، طبعة جامعة قطر ١٩٩٢م .

٢- من إجابات أسئلة سفر الخروج. الكاتب موسى (حسب التقليد)

٣- دائرة المعارف الكتابية :مؤلف / صموئيل حبيب فايز ، قسم: مقارنة أديان ، تاريخ النشر/ ٢٠١٣ .

٤-تفسير القرآن العظيم : لابن أبي حاتم : أبو محمد عبد الرحمن الرازي المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية ط٣ - ١٤١٩ هـ،.

٥-الدر المنثور في تفسير المأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت

٦-أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني : تفسير السمعاني المحقق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشردار الوطن، الرياض - السعودية أبو المظفر السمعاني :

٧- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٨- التراث الشفوي اليهودي المعروف بالمدراش، مدراش يلقوت شمعوني.

٩- الفتح الرباني والفيض الرحماني :الشيخ: عبد القادر الجيلاني . بيانات النشر : بيروت , دار االفكر، ١٩٩٨

١٠- لمسات بيانية: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي أعده : أبو عبد المعز، جامع الكتب الإسلامية.

١٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١ - ١٤١٨ هـ

١٣- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠٠

١٤- لمسات بيانية: فاضل السامرائي أعده : أبو عبد المعز، جامع الكتب الإسلامية.

١٥- د. رشيد الجراح: باب السامري (٢): أين ذهبت عصا موسى؟: د. رشيد سليم الجراح ، أكاديمي ولغوي أردني، يعمل أستاذاً في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها في جامعة اليرموك .

References and Sources

1-Contradictions in the Dates and Events of the Revolution from Adam to the Babylonian Exile. Author/Publisher: M. Q. [partially unclear]. University of Qatar Press, 1992.

2-From the Answers to the Questions of the Book of Exodus. Author: Moses .)according to tradition(

3-The Biblical Encyclopedia. Author: Samuel Habib Fayez, Department of Comparative Religions. Publication date: 2013.

4-Tafsir al-Qur'an al-'Azim (Interpretation of the Great Qur'an). By Ibn Abi Hatim: Abu Muhammad 'Abd al-Rahman al-Razi. Edited by: As'ad Muhammad al-Tayyib. Publisher: Nizar Mustafa al-Baz Library, Saudi Arabia, 3rd edition, 1419 AH.

5-Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bi al-Ma'thur. By 'Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti. Publisher: Dar al-Fikr, Beirut.

6-Tafsir al-Sam'ani. By Abu al-Muzaffar Mansur ibn Muhammad ibn 'Abd al-Jabbar al-Sam'ani. Edited by Yasser ibn Ibrahim [name partially obscured]. Publisher: Dar al-Watan, Riyadh, Saudi Arabia.

7-Tafsir al-Tabari (Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an). By Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH). Edited by Dr. 'Abdullah ibn 'Abd al-Muhsin al-Turki. Publisher: Dar Hijr for Printing, Publishing, Distribution and Advertising, Cairo, Egypt, 1st edition, 1422 AH / 2001 CE.

8-The Jewish Oral Tradition Known as the Midrash. Midrash Yalkut Shimoni.

9-Al-Fath al-Rabbani wa al-Fayd al-Rahmani. By Shaykh 'Abd al-Qadir al-Jilani. Publication information: Al-Fikr, 1998.

10-Bayani Touches (Lamasat Bayaniyyah). By Fadel ibn Saleh ibn Mahdi ibn Khalil al-Samarrai. Prepared by Abu ‘Abd al-Mu‘izz. Jami‘ al-Kutub al-Islamiyyah.
11-Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta’wil. By Nasir al-Din Abu Sa‘id ‘Abdullah al-Shirazi al-Baydawi (d. 685 AH). Edited by Muhammad ‘Abd al-Rahman al-Mar‘ashli. Publisher: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi, Beirut, 1st edition, 1418 AH.
12-Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta’wil — [the remaining details are obscured in the image[
13-Abu Ja‘far Muhammad ibn Jarir al-Tabari (224–310 AH), Jami‘ al-Bayan ‘an Ta’wil Ay al-Qur’an. Publisher: Dar al-Tarbiyah wa al-Turath, Mecca, P.O. Box 778…
14-Bayani Touches (Lamasat Bayaniyyah). By Fadel al-Samarrai. Prepared by Abu ‘Abd al-Mu‘izz. Jami‘ al-Kutub al-Islamiyyah.
15-Rashid al-Jarah: Where Did Jesus Go? (2nd edition). Dr. Rashid Salim al-Jarrah, academic and linguistic researcher, professor in the Department of English Language and Literature at Yarmouk University.